

الرجراجي

وكتابه

هذا من تولى غير الرب لمولى



عالم الكتب

وكذلك لم يكن المخطوط واحدًا من المجموعة القيمة التي ضمت إلى مكتبة الإسكوريال عام ١٥٩٩م بعد أن كانت ملكاً لعالم الإنسانيات الشهير ، بينثو أرياس مونتانو Benito Anas Montano ، والذي كان واحداً من أوائل من أداروا هذه المكتبة وتولوا مسؤوليتها ، وتكونت مجموعته من (٢٦) مخطوطاً مجلدة تجليداً قفراً .

أما التحديد الأكثر احتمالاً إنَّه لوصول المخطوط إلى المكتبة فهو عام ١٦١٢م وهو العام الذي وصلت فيه مكتبة الأوسكوريال . المجموعات الضخمة من المخطوطات والكتب التي كانت تضمها مكتبة مولاي زيدان سلطان المغرب ، وهي المجموعة الوحيدة التي أضفيت إلى المكتبة خلال مدة من ١٦٠٠م إلى ١٦١٢م .

الإسكوريال ومكتبة مولاي زيدان

بروي لنا الدكتور ، براوليو خوستيل ، باختصار شديد ، قصة استيلاء الإسبان على مكتبة مولاي زيدان سلطان المغرب وكيفية ضمها إلى مكتبة الأوسكوريال الملكية لتصبح بذلك واحدة من أغنى مكتبات العالم بالمخطوطات العربية ، بل وأشهر هذه المكتبات على الإطلاق ، فيقول :

كان مولاي زيدان ابناً لأشهر سلاطين الأسرة السعدية ، أبي العباس أحمد المنصور الذهبي ، والذي حكم المغرب خلال المدة من (٩٨٦) إلى (١٠١٢هـ) الموافق ١٥٧٨ إلى ١٦٠٢م ، ولقد صعد المولى زيدان إلى عرش مراكش خلفاً لوالده وظل سلطاناً لمدة خمسة وعشرين عاماً كاملة من ١٠١٢هـ إلى ١٠٣٧هـ الموافق ١٦٠٣ إلى ١٦٢٨م ، وكان عهده - على ما يحدثنا به المؤرخ الفرنسي ، ليفي بروفنسال - حافلة بالأحداث والنورات ، وخرجت عن طاعته أركان المغرب

المخطوط ومكتبة الإسكوريال

بناء على دراسة المحقق فإن المخطوط الأساسي لهذا العمل القيم محفوظه في مكتبة الإسكوريال الملكية القريبة من مدريد ، وترجع نسخته إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد إلى عام ١٥٤٢م .

وصل المخطوط إلى مكتبة الأوسكوريال في حدود عام ١٦٢٦م على بعد تقدير ، حيث قام المستشرق الإسكتلندي ، دافيد كولفيل David Colville ، في هذا العام - المشار إليه - بدراسة المخطوطات العربية في مكتبة الأوسكوريال ، وخاصة مجموعة ، هورتادو دي ميندونا Horrado de Mendoza ، وقام بفهرستها ووصفها وصفاً سهياً ، وكتب ملاحظاته باللغة اللاتينية عليها ، لكنه لوخط أن ملاحظاته التي سجلها على مجموعة مولاي زيدان كانت مبتسرة ، ولا تشير إلى إلا العنوان والمحتوى في كلمات قليلة سجلها في الركن الأسفل من كل مخطوط ، وهناك من الأدلة ما يجعل وصول هذا المخطوط يدور حول نهاية القرن السادس عشر الميلادي ، نشير إلى بعضها :

١ - لم يظهر المخطوط في فهرس المكتبة الذي أعده البروفيسور ، ديبغو دي أوربا Diego de Urea ، بعد موت ملك إسبانيا فيليب الثاني عام ١٥٩٨م ، والذي انتهى إعداده عام ١٦٠٠م .

٢ - لم يسجل المخطوط في قوائم جرد المكتبة لما قبل عام ١٦٠٠م وخاصة سجلات الحصر التي تمت في الثاني من مايو عام ١٥٧٦م ، ولقد شهد اليوم الثاني من حزيران (يونيه) عام ١٥٧٦م وصول المكتبة القيمة التي إهداها للأوسكوريال السفير الإسباني ، ديبغو هورتادو مندونا Diego de Mendoza ، H. de Mendoza ، والمكونة من (٢٥٦) مخطوطة معظمها باللغة العربية ، ولم يكن مخطوطنا واحداً منها حيث لا يحمل اسم السفير كما هو مدون على المخطوطات الأخرى .

■ قام الدكتور ، براوليو

خوستيل ، بنشر رسالته

للدكتوراه ، وتشتمل على

التحقيق النقدي لكتاب

أبي العباس موسى

الرجراجي ، وقدم لهذا

التحقيق دراسة مستوعبة

عن المخطوط وكتابه

وموضوعه ، والعلماء

السابقين عليه والمعاصرين

له ، والكتابة في هذا الفن

سواء لدى المسلمين أو

الذنابري ، ونقل للقراء

مقتطفات من الدراسة

الإسبانية ومن النص

العربي المنشور لهذا

الكتاب ... ■■



هداية من تولى غير الرب كمولي

تأليف

أبي حفص عمر بن موسى بن محمد الرجراجي

تمتحن وترجمت إلى الإسبانية بواسطة
براوليو خوسيتيل كلابوشو

إسبانيا، المرابي للكتاب

سنة ١٩٨٣

■ الحياة عند المسلمين نتاج متكامل لما هو مادي وروحي ، ولا يفرقون بين الدين والسياسة ، لأن هذه الحياة إنما تنتظم بتعاليم الله سبحانه وتعالى ، والافتقار كامل بين المسلمين على أن الازدهار المادي ليس إلا محصلة طبيعية للتدين الصحيح .

■ في عصر شمل فيه الانحطاط والتدهور كل مناحي الحياة في العالم الإسلامي وتهاون الناس في التمسك بمبادئ الدين وأخلاقه ، بين علماءهم بوضوح أن العلاج الناجع يكمن في العودة إلى هذا الدين الحق .

• التشوق ، جزء كبيراً عنوانه ، أخبار صالحى رجاجة . .

ولقد شهد منتصف القرن الخامس عشر الميلادي شخصيتين علميتين كبيرتين من هذه الأسرة حملتا معاً اسم ، أبو حفص عمر الرجراجي ، وكان أكبرهما أكثر شهرة ، وأشار إليه جميع ترجمات عصره أو التالية لها ، واجمعت جميعها على تأريخ وفاته في السادس من ذي القعدة ٨١٠هـ كما أنها لم تختلف في اسمه الكامل ، أبو حفص عمر بن محمد أبو علي الفاسي الرجراجي . . وتكاد الدلائل التي تشير إلى تقواه وورعه وإيمانه تحمّلنا على الاعتقاد بأنه مؤلف الهداية . لكن مقارنة تأريخ وفاته بالأحداث التاريخية التي تشير إليها نصوص الهداية تؤكد لنا أن المؤلف هو شخص آخر ، أطلق عليه محقق الكتاب اسم ، الرجراجي الأصغر .

عاش مؤلف الهداية في فاس وفي تونس ، ورحل إلى مصر ومنها إلى مكة لإداء فريضة الحج عام ٨١٣هـ/١٤١١م ومات في حدود عام ٨٦٨هـ/١٤٦٥م . وكان معاصراً للنبيخ التونسي ، ابن عروس ، المتوفى ٨٦٩هـ/١٤٦٥م .

المخطوط وحريق الأسكوريال

تعرضت مكتبة الأسكوريال الملكية لحريق هائل ألهم نصف ما فيها من مخطوطات عربية - على الأقل - ولو شاء لها القدر ، و انقذتها عنابة الله ، لازداد ترانثا الإسلامي ثراءً وعنى ، ولكانت الأسكوريال منهلاً غذياً لهذا التراث الغالي ، لكن كما أشرنا تعرضت هذه المكتبة لحريق ضخم لم تُعرف أسبابه ودوافعه بوضوح حتى الآن ، ذهب بالكثير مما تحتويه المكتبة ، وشامت العناية الإلهية أن يخرج مخطوط الهداية من هذا الحريق سالماً دون أن يُس باقى مع الفين من المخطوطات تم قذفها من النوافذ إلى فناء الدير بعيداً عن النيران الملتهمية التي كادت أن تلتهم باقي محتويات المكتبة ، وتسبب ذلك في تلف عدد كبير من المخطوطات واختلاطها ، وحيث إن الهداية لم تكن مرقفة أصلاً ، فقد تم تجليدها بعد ذلك بطريقة عشوائية وعلى يد رجل لا يعرف من العربية إلا قليلاً .

مؤلف الهداية

أسرة الرجراجي أسرة مغربية عريقة تقع أرضها في الجنوب الشرقي من البلاد ، وقد انحبت هذه الأسرة عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء ، خصص لها ، الثاني ، في كتابه

الاربعة كليا . ولقد اضطرت إحدى تلك الثورات المستمرة المولى زيدان أن يرحل من مقره في أسفي ، إلى مدينة ، اغادير ، المغربية حاملاً معه أشياء الشخصية وما استطاع حمله مما يعتز به . ومن أجل ذلك استاجر مركباً فرنسياً بقيادة القبطان ، جين فيليب دي كاستيلانا Jean Philippe Castellano ، لكي ينقل بعض آثائه ومكتبه القيمة إلى مدينة ، اغادير .

وفي ميناء اغادير وحين ماطل السلطان في دفع المبلغ المتفق عليه ، استولى القنوط - أو ربما الجشع - على القبطان الفرنسي فهرب بحمولته تحت جنح الظلام متجهاً إلى ميناء مرسيليا الفرنسي ، لكن سوء طالعها أوقعه أمام مدينة ، ساي ، الإسبانية تحت رحمة ثلاث من بوأخر الرابطة الإسبانية ، والتي اعتقدت للاحوها خطأ بوجود الذهب في صناديق الكتب فأسروا المركب الفرنسي وتوجهوا به إلى مدينة ، بلنسية ، الأندلسية . ومن ثم أمر الملك فيليب الثالث ملك إسبانيا ، بنقل هذه المكتبة الضخمة والتي تتكون من (٣٠٠٠) مخطوط عربي إلى دير ، لورنس دي الأسكوريال ، حيث أودعت هناك على أمل أن يتم استبدال هذه الكتب بكل الأسرى النصارى المحتجزين لدى المغرب في ذلك الوقت ، وحين فشلت المفاوضات تم ضم هذه الغنيمة الضخمة إلى مكتبة الأسكوريال مما أثرى مخزونها بصورة كبيرة ، وإلى هذه المجموعة ينتمي مخطوطنا الخاص بالهداية للشهيد الرجراجي .

عصر المؤلف

عاش المؤلف حياته في نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر الميلاديين خلال حكم بني

ميرين في المغرب والحفصيين في تونس . وقد تنقل المؤلف معظم حياته بين المغرب وتونس . ومن أجل ذلك تلقى قليلاً من الضوء على هاتين الأستريتين الحاكمتين :

حكمت أسرة بني مرين في المغرب من عام ١٢٦٩ إلى ١٤٧٠ وهي فترة تاريخية هامة سواء في حياة المغرب العربي أو الأندلس . كتبت فيها مجموعة من الدراسات الهامة خاصة كتابات العالم العربي ذائع الصيت - ابن خلدون - . ولقد وصلت هذه الأسرة إلى قمة مجدها السياسي

خلال القرن الرابع عشر الميلادي . لكي تفسد بعد ذلك بسرعة إلى نهايتها واختلافها . أما محاولتها لاستعادة المملكة المنهارة والمتفطرة التي خلفها الموحدين . فإنها باءت بالفشل ولم تنجح في ذلك على الرغم من ازدهارها الكبير خلال الفترة من عهد السلطان أبي الحسن المريني ٧٣١هـ/١٣٣١م إلى ٧٥٢هـ/١٣٥١م وإلى الفترة الثانية من حكم السلطان أبي العباس ٧٩٦هـ/١٣٩٣م .

نجح السلطان أبو الحسن في إعلان الجهاد على النصارى في الأندلس واستطاع أن يسرد منهم جبل طارق - وهو طريق الإسلام بين المغرب والأندلس - لكنه لقي هزيمة مدمرة لجيوشه وجيوش بني نصر في معركة طريف التي كانت نهاية المعارك الكبرى ضد الإسبان الذين كانوا يتقدمون بسرعة لإخراج المسلمين من الأندلس . أما من الناحية العلمية في عصر بني مرين فقد تركزت في المجال الفقهي الشريفي وامتدوا بالأصول اهتماماً كبيراً . خاصة الفصوص القرآنية والحديث . على عكس ما كان الحال عليه من اهتمام بالفروع في العصر المرابطي . وكانت كتابات حجة الإسلام الإمام الغزالي في الكتب المغضلة في المغرب في هذه الحقبة . وساد المذهب المالكي بينهم . كما هي أحوال الأندلسيين والمغاربة منذ القدم . ولكنه في هذا العصر تطعم بكتابات الغزالي . وأصبح هناك دم جديد يجري في عروق الفقهاء المرينيين : وإن كان يمكن القول بأن العصر المريني لم يندمج أعمالاً ذات مستوى رفيع بقدر ما دارت الحياة

العلمية حول التفسير والتعليق على الأعمال الكبرى التي أنجزتها العصور السابقة لها . والعمل على استيعابها . وركز الفقهاء والعلماء هنا على الذاكرة والحفظ أكثر من تركيزهم على الإبداع والابتكار . وهي ظاهرة اتسمت بها الحالة العلمية في العالم الإسلامي حينئذ . ويدل على ذلك تأكيد - ابن خلدون - على أن مدرسة - فاس - قد تلوقت في هذا المجال . وأن التعليل فيها قد قام على تدريب ملكة الحفظ وثقوتها .

أما في الفريقية - تونس . فقد ورث الحفصيون دولة الموحدين . وحكمت هذه المنطقتان من عام ١٢٦٧/٩٨٢هـ - ١٣٢٩/١٥٧٤هـ وهي السنة التي تمكن فيها - سنان باشا - من ضم تونس إلى الدولة العثمانية . وفي النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي تمكن - خير الدين بارباروسا - من الاستيلاء على تونس . لكن الملك الحفصي - أبا الحسن - استدعى الإسبان بقيادة الإمبراطور - كارلوس الخامس Carlos V - الذي وصل إلى تونس مع حملة ضخمة عام ١٥٣٥م تمكن خلالها الإنان من هزيمة - بارباروسا - والاستيلاء على تونس وإعادة الملك الحفصي عليها تابعاً ذليلاً لملك إسبانيا .

حكم من الأسرة الحفصية (٢٥) أميراً . يبعثنا منهم ثلاثة حكموا في نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر الميلاديين وهم : أبو فارس عبد العزيز ٧٩٦/٨٢٧هـ . أبو فارس ١٢٣٤/١٢٣٤م . و أبو عمر عثمان ٨٣٩/٨٩٣هـ . و أبو عمر ١٤٣٥/١٤٨٨م .

عاصرت الأسرة الحفصية الأحداث التي مر بها بنو مرين في المغرب . وتشابهت الأستراتجيا - تقريباً - في جميع الأحوال خاصة في المناحي الفكرية والعقلية وإن كانت في المغرب أكثر رقة منها في الفريقية .

شهد العصر الحفصي نوعاً من ازدهار الثقافي تمثل بالاهتمام السلاطين بالحياة العلمية والعلماء . وتتمتع أهل العلم بمكانة طيبة واحتلوا أماكن هامة في الحياة الاجتماعية

والسياسية . ومع ذلك تبقى إشاراتنا صحيحة إلى أن المستوى الفكري للمجتمع التونسي على عهد بني حفص كان أقل درجة منه في المغرب على عهد بني مرين رغم ظهور المدارس في تونس قبل مائة سنة على الأقل من ظهورها في المغرب . عادت تونس إلى المذهب المالكي بعد الموحدين . لكننا ابتعدت عن تشدد الموحدين وشهدت في هذا المجال نوعاً من التسامح . امتد بدوره إلى الحركة الصوفية .

الهداية : ما هي ؟

هداية من تولى غير الرب الحق . رسالة في تاديب السلاطين . وهو نوع من الكتابة تفلقت عنه العقلية الإسلامية انطلاقاً من واجب المسلمين الشرعي في تقويم حكامهم بتقديم النصيحة الخالصة لهم ونتيجة للارتباط الوثيق بين الحياة الخلقية والعملية ومهمة الدين على كلا المجالين . وكان ذلك سبباً في غزارة إنتاج المسلمين في هذا المجال حتى أصبح فناً من فنون ثقافتهم ومجالاً حياً من مجالات تفكيرهم سواء ما كتب منه باللغة العربية أو الفارسية . ونشر بباجلز في بعض المؤلفات التي تشبه الهداية في هذا المجال :

رسالة الصحابة والأدب الكبير لابن المقفع (توفي ٧٥٩/١٧٥٩م) وكتاب - النجاج - المنسوب إلى الجاحظ (توفي ٢٥٥هـ/٨٦٨م) . وكتاب - الخراج - السلطان . وهو الجزء الأول من كتاب (توفي ٣٢٩هـ/٩٤٠م) . وكتاب - الأحكام السلطانية - للساوري (توفي ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) . و - نصيحة الملك للإمام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ/١١١١م) . وبعض أجزاء كتابه - الإحياء - وخاصة الأبواب المتعلقة بالأسر والمعروف والنهي عن المنكر . وكتاب - سراج الملوك - للأندلسي - نزيل الإسكندرية - أبي بكر الطرطوشي (توفي ٥٥٠هـ/١١١٦م) .

وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر

■ البداية السليمة لعودة المسلمين إلى الصراط المستقيم ، ومن ثم إلى مجدهم وعزهم ، تأتي من حكام المسلمين أنفسهم ، على أساس أن فساد الرعية أو صلاحها إنما هو من فساد الحكام أو صلاحهم .

■ على السلطان أن يكون حازماً في: اختيار العامل العادل، وإقامة الصلاة في أوقاتها، ومراقبة القضاة والشهود، وأن يحترز أن يسمى أحكام القضاة أو الفقهاء أو غيرهم بالشرعية، لأنهم مجتهدون، والكمال لله وحده.

■ ليس للسلطين استبعاد الرعية والسماح لهم بالتمادي في مناداتهم بألقاب خاصة بالله سبحانه وتعالى.

■ من واجب المسلمين تقديم النصيحة الصادقة للسلطان دون تجاوزها إلى ما يقلل من هيئته ومكانته.

وما ينبغي للسلطان أن يتفقد. ولا سيما في زماننا الفاسد، أمر القضاة والشهود، أما القضاة فيقدمهم بجرهم عن الباطل إذا ظهر له فيهم ولا يسامحهم في القليل منه، فإنه يجر إلى الكثير بخلاف العمال فإنه قد يحسن العفو عنهم بعد ادبهم في بعض الأحيان إذ ليس من تعدى بجهل كمن تجرأ بعلم، ويجب عليه إذا وقعت نازلة مهمة أن يجمع عليها أهل العلم ببلده ولا يجترىء بواحد أو اثنين بل كلما كثر الجمع فهو اصلح ليكثر البحث منهم عن مسائل الفتوى (ص 40).

ما ليس للسلطين

وهو استبعاد الرعية بتسميتهم بإيهاهم بأسماء مولاتهم ومالكهم إذ الخلق كلهم عبيد لمولى واحد، ولا ثاني له يشاركه في اسم من اسمائه أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله وما أمراً إلا ليعيدوا إليها واحداً لا إله إلا هو تعالى عما يشركون. (ص 59).

ولقد ثبت مما تبين أن المؤمن الكامل يكره له كرامة شديدة أن يقول لغير الله، مولاي، أو ملكي، إذ لا يستحق ذلك إلا موله الحق ومالكه المبين ورببه الرحمن الرحيم. وبين لنا الرجرجاني الفرق بين المولوية والولاية، فالمولوية خاصة لا يجوز إطلاقها إلا بحق الله تعالى من الكامل، ويجوز إطلاقها من الناقص لغير الله بحكم ظاهر الشريعة، فإن المولى الحقيقي لا يضاف إليه العبد الحقيقي، وإما المراتة وهو عام في الكامل والناقص، يقال في المراتة وولي الحجور، والمؤمنون بعضهم أولياء

تيمم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة. قيل لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.» (ص 23).

ما ينبغي للسلطين

خصص الرجرجاني الباب الثالث بقصوله التسعة فيما ينبغي للسلطين حيث قال: ينبغي لهم إذا قدموا عمالاً أن يقولوا له كما قال عمر بن عبد العزيز لعماله إذا ولّاهم: «إنأ قد وليتاك على عملنا هذا فإن وجدناك أميناً قوياً سخيّاً شكرناك على امانتك واعدناك إلى مملك. وإلى.....» (ص 32).

وإذا ظفر السلطان بخائن من عماله فينبغي إذا أخذ مما بيده أن يرده عاملاً بعد ذلك، وإن فعل فقد ظلم الرعية....

وينبغي للسلطان حفظ اعراض المسلمين كماولهم أو أشد، حيث إن أمر المؤمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى اعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم.

وما ينبغي للسلطان إذا خرج الأمر من يده في دفع مظلمة أو قضاء حاجة ألا يكون له هم إلا إقناذ ولا يسمح عماله في ترك الأخذ به.

وما ينبغي للسلطان على سبيل الوجوب أن يجعل أمور الصلوات وإقامتها من أهم الأمور عنده. كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يكتب لعماله، إن أهم أموركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها فقد حفظ دينه ومن سفيهاها فهو ما سواها اضيع. (ص 34).

ويخصص الرجرجاني الباب الأول بقصوله الثلاثة لتوضيح ما يجب للسلطين على الرعية من السمع والطاعة ومالهم عند الله إن استقاموا ويورد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة التي تامر بطاعة وفي الأمر أياً كان جنسه أو أصله أو لونه حتى ولو كان عبداً حبشياً مجذع الأطراف، إلا من امر بمعصية، فلا طاعة للسلطين إذا أمروا بمعصية، ولا يجوز الخروج عنهم كيما كانوا.

ويخصص الفصل الثالث من هذا الباب، في فضل الإمام العادل وثوابه عند الله تعالى، حيث أخرج مالك في موطنه والبخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل...، فيدا به. كما أخرج قول رسول الله ﷺ، خيركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويتبغضونكم وتلعنونهم وتلعنونهم ويلعنونكم.» قيل: يا رسول الله أفلا نتأبدهم بالسيف؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة.» وفي الأثر، يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ورضي الله عن ابن المبارك فما أحسن قوله حيث قال:

وإله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا - رحمة منه - وديناننا لولا الخليفة لم تأمن لنا سبيل وكان أضعفنا نبياً لألوانا ويخت هذا الباب بما للسلطان على الرعية من الحقوق، «النصيحة، ففي صحيح مسلم عن

بعض . والله ولي الذين آمنوا . ثم يعمل بعد ذلك على توضيح آرائه بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفي أقوال فقهاء المسلمين ، ويطول القول في هذا المجال في صفحات طويلة (انظر من ص ٦١ إلى ص ٨٧) .

واعلم بان السلطان خليفة رسول الله ﷺ على امته - كما قال ابو الحسن الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية - فمن جملة ما يجب عليه في حق رعيته ان يردم من الإفراط والتوغل في مدحه والادب معه بما لا يجوز إلى ما ينبغي له ولهم كما كانت سيرة رسول الله ﷺ ، ويكون ذلك بالعرف مرة إذا علم ان مخاطبه بالولوية عالم بقبحه . وباللطف أخرى إذا تخيل جهل المتكلم بذلك (ص ٩٣) .

فإن قلت : فما الذي يصنع من اراد الهداية من الملوك في زماننا وقد شاع الخطاب بالولوية على السنة العامة ، واكثر الخاصة ، وهل يكفيه ان يغير بقلبه فقط ؟ فإنه إن اشتغل بالإنكار على الناس مع كثرتهم ضاع وقته ، وإن تركهم ضيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيائم : او لا بد له من الإنكار عليهم بالقول ؟ فاقول : اما ترك الإنكار بالقول والافتقار على كراهية القلب فلا مندوحة عنه ، إذ لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة . (ص : ٩٥) .

يتناول الشيخ الرجرجاني رحمه الله بعد ذلك ماذا يفعل المؤمنون إذا امتحنوا بأمتال من يفرطون في مدح السلطان . فبين ان طائفة من العلماء اختارت البعد عن سماع خطبهم ، وطائفة أخرى اختارت الانشغال عنهم بالذكر والصلاة بالركوع والسجود . وطائفة ثالثة

اختارت السكوت دون الإنصات ولا يتكلم . ثم يتناول خطبة الجمعة وصحة جواز ذكر الصحابة والرضي عنهم ، وما يكون فيها من الدعاء للأمراء والخلفاء والحكام وغيرهم ، مستشهداً بخطب للإمام علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وينتقل الرجرجاني إلى نقطة هامة جداً في كتابه ، وهي : تزلف العلماء للسلطين والأمراء والحكام بالأفعال والأقوال ، ويناقش الاسباب التي تؤدي إلى ذلك ، وصحة نسبة بعضهم إلى العلم حقاً ، وما يجب ان يتصف به العلماء والفقهاء من الزهد في الدنيا ، والتواضع والتحلل بالخلق الكريم ، واتباع احكام الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ .

وابتداء من الصفحة الخامسة والتسعين من النص العربي يقوم المؤلف بتعريف مكانة الله سبحانه وتعالى في قلوب المؤمنين ، وما ينبغي لحق الانبياء مع امهم والإذعان لأحكامهم ، مركزاً القول على سيدنا محمد ﷺ ، مع تفسير آيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية ، ثم يعقد فصلاً خاصاً لحديث رسول الله ﷺ : لا يشكر الله من لا يشكر الناس ، . وانقسام الناس في هذا المجال إلى السام متبانية . إلى ان يختم الكتاب بالصلاة على رسول الله ﷺ .

بعض الجوانب التاريخية

تعرض الكتاب في ثناياه لبعض الإشارات التاريخية والأسماء المعروفة عند روايته لبعض الأحداث ، خاصة ما يتعلق برواية الصوفي

• الجنيد ، واصحابه مع الخليفة المتوكل الواردة بالنص في الصلحات من ٤٨ إلى ٥٧ . ولا حظ محقق الكتاب عدم دقة الروايات التاريخية وان هذه الرواية لا تستقيم من الناحية التاريخية لسبق وفاة الخليفة المتوكل لكل من النوري ، و الجنيد ، وأشار إلى ان هذه الرواية الصوفية قد وردت مراراً وتكراراً في كتب التصوف الإسلامي عامة . وإن احداثها قد جرت امام اكثر من خليفة ويرى ان كاتب الهداية الرجرجاني قد خلط بين شخصيتين : الأولى للنوري ، صاحب الجنيد ، والثانية لذي النون المصري ، الذي عاش ما بين ١٨٠/٢٤٦هـ - ٧٩٦/٨٦١م والمدان من قبيل الفقيه المالكي المصري عبد الله بن الحكم : وسجن ذو النون في بغداد في حوالي عام ٢٥٥هـ / ٨٥٠م . وعرض بالفعل يوماً ما على الخليفة المتوكل للنظر في امره . والخطا والخط بين الاسمين محتمل جداً .

بالإضافة إلى ذلك اشار المحقق إلى اختلافات تاريخية أخرى وإلى تباين الأسماء ، وختم هذه الملاحظات بقوله باننا لن نعطي أهمية إلى هذا الجانب التدويني ، وذلك لأن للهداية رسالة مختلفة .

ويقع النص العربي من الكتاب في مائة واربع عشرة صفحة من الحجم المتوسط . اما الدراسة الإسبانية وترجمة النص العربي إلى الإسبانية فقد شغلا مائتين وثلاثين صفحة من الحجم نفسه . وكان هذا العمل (التحقيق والدراسة) رسالة دكتوراه قدمها الدكتور ، خوستيل ، عام ١٩٧٤م ونشرت مؤخراً بالمعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد .